

تفسير البحر المحيط

@ 113 @ سم الخياط مع المحبوب ميدان . ثم ثالثاً لما يؤسوا من الخلق عذقوا أمورهم
بـ [] وانقطعوا إليه ، وعلموا أنه لا يخلص من الشدة ولا يفرجها إلا هو تعالى { تُمْ - إِذَا
مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } وإذاً إن كانت شرطية فجوابها محذوف
تقديره : تاب عليهم ، ويكون قوله : ثم تاب عليهم ، نظير قوله : ثم تاب عليهم ، بعد
قوله { لَقَدْ تَابَ [] عَلَى النَّبِيِّ } الآية . ودعوى أن ثم زائدة وجواب إذا ما بعد
ثم بعيد جداً ، وغير ثابت من لسان العرب زيادة ثم . ومن زعم أن إذا بعد حتى قد تجرد
من الشرط وتبقى لمجرد الوقت فلا تحتاج إلى جواب بل تكون غاية للفعل الذي قبلها وهو قوله
: خلفوا أي : خلفوا إلى هذا الوقت ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ثم رجع عليهم بالقبول
والرحمة كرة أخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا ، أو ليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن
فرطت منهم خطيئة علماً منهم أن [] ثواب على من تاب ، ولو عاد في اليوم مائة مرة .
وقيل : معنى ليتوبوا ليدوموا على التوبة ولا يراجعوا ما يبطلها . وقيل : ليتوبوا ،
ليرجعوا إلى حالهم وعاداتهم من الاختلاط بالمؤمنين ، وتستكن نفوسهم عند ذلك . قال ابن
عطية : وقوله : ثم تاب عليهم ليتوبوا ، لمّا كان هذا القول في تعديد نعمه بدأ في
ترتيبه بالجهة التي هي عن [] تعالى ليكون ذلك منبهاً على تلقي النعمة من عنده لا رب
غيره ، ولو كان القول في تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب كما قال
تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } ليكون هذا أشد تقريراً
للذنب عليهم ، وهذا من فصاحة القرآن وبديع نظمه ومعجز اتساقه . وبيان هذه الآية ومواقع
ألفاظها أنها تكمل مع مطالعة حديث الثلاثة الذين خلفوا ، وقد خرج حديثهم بكماله البخاري
ومسلم وهو في السير ، فلذلك اختصرت سوقه . وإنما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لأن
الشرع يطالبهم من الحد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه ، إذ هو أسوة وحجة للمنافقين
والطاعنين ، إذ كان كعب من أهل العقبة ، وصاحبه من أهل بدر ، وفي هذا ما يقتضي أن
الرجل العالم والمقتدي به أقل عذراً في السقوط من سواه . وكتب الأوزاعي إلى المنصور أبي
جعفر في آخر رسالة : واعلم أن قرابتك من رسول [] صلى [] عليه وسلم (لن تزيد حق []
عليك إلا عظماً ، ولا طاعته إلا وجوباً ، ولا الناس فيما خالف ذلك منك إلا إنكاراً والسلام .
ولقد أحسن القاضي التنوخي في قوله : .

والعيب يعلق بالكبير كبير .

وروي أن أناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول [] صلى [] عليه وسلم (ومنهم من بدا له

فيلحق بهم كأبي خيثمة ، ومنهم من بقي لم يلحق بهم منهم الثلاثة . وسئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال : إن تضيق الى التائب الأرض بما رحبت ، وتضيق عليه نفسه كتوبه كعب بن مالك وصاحبيه . .

{ الرِّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } : هو خطاب للمؤمنين ، أمروا بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعتهم صدقهم وأزاحهم عن ربة النفاق . واعتضت هذه الجملة تنبيهاً على رتبة الصدق ، وكفى بها أنها ثانية لرتبة النبوة في قوله : { فَأُوْءَلٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ اٰزَعَمَ اللَّهُ ءَلَايَهُمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ } قال ابن جريج وغيره : الصدق هنا صدق الحديث . وقال الضحاك ونافع : ما معناه اللفظ أعم من صدق الحديث ، وهو بمعنى الصحة في الدين ، والتمكن في الخير ، كما تقول العرب : رجل صدق . وقالت هذه الفرقة : كونوا مع محمد وأبي بكر وعمر وخيار المهاجرين الذين صدقوا ۝ في